من الضفة الاخرى

الشعر وفنّ حكاية القصص

خورخي لويس بورخيس

ترجمها عن الاسبانية: اسماعيل خليل مجيد

في العام ١٩٦٧ دعي خورخي لويس بورخيس إلى الولايات المتحدة لإلقاء سلسلة محاضرات في جامعة هارفرد،

حول فن الشعر ووظيفته. وكانت عناوين المحاضرات كما يلي: «لغز الشعر»، و«الاستعارة»، و«فن حكاية القصص في الشعر: الملحمة»، و«موسيقى الكلمات وترجمة الشعر» و«الفكر والشعر» وأخيراً «معتقد الشاعر». وقد ظلت هذه المحاضرات الست منسية طوال عقود، إلى أن وجدها أحد أساتذة الجامعة، وقد غطاها غبار السنين، فأعاد تحقيقها وطباعتها، لتصدر مجموعة في كتيب صغير بعنوان «فن الشعر»، عن جامعة هارفرد نفسها.

ننشر هنا المحاضرة الثالثة، وهي الأصغر بين المحاضرات، وتحمل عنوان «فن حكاية القصص».

وسنعمد في أعداد «نوافذ» المقبلة الى نشر بعض المحاضرات الأخرى من السلسلة نفسها:

×××

لا بد من أخذ التمايزات اللفظية في الاعتبار، لأنها تمثل تمايزات ذهنية، وثقافية. ولكن المؤسف أن كلمة «شاعر» قد انقسمت إلى اثنين. فعندما نتكلم اليوم عن شاعر ما، لا نفكر إلا في شخص ينطق بنغمات غنائية ومحكمة التناسق من نوع «بسفن، كان البحر ملطخاً هنا وهناك، كأنها نُجوم في السماء»؛ ووردزورث. أو «لماذا، وأنت موسيقى، تُحزنك الموسيقى؟ فالمسرة تسعى إلى المسرات، والسعادة ترغب في سعادة أخرى»، (شكسبير). بينما كان القدماء، عندما يتكلمون عن شاعر لا يعتبرونه مجرد مُطلق لهذه النغمات الغنائية السامية وحسب، وإنما يرون فيه كذلك راوية حكايات، حكايات يمكننا أن نجد فيها كل أصوات البشرية: ليس أصوات الغنائية، والتأمل، والكآبة فقط، وإنما كذلك أصوات الشجاعة والأمل. هذا يعني أنني سأتحدث عما أفترض أنه أقدم أشكال الشعر: الملحمة. فلنشغل أنفسنا بها لبعض الوقت.

ربما كان أول مثال يرد إلى ذهننا هو قصة طروادة، مثلما أسماها أندرو لانغ Andrew Lang، وترجمها بصورة بالغة الصواب. فلنتفحص فيها طريقة السرد المغرقة في القدم لقصة. منذ البيت الأول نجد شيئاً كهذا: «ربة الشعر، حدثيني عن غضبة آخيل». أو كما ترجمها البروفسور روس Rouse على ما أظن: "رجل غاضب: هذا هو موضوعي». ربما أن هوميروس، أو الرجل الذي نسميه هوميروس (وهذه قضية قديمة)، قد فكر في كتابة قصيدة عن رجل غاضب، وهذا يشوشنا، لأننا نفكر في الغضب على طريقة اللاتينيين: (ira furor brevis) الغضب هو ضرب آني وعابر من الجنون، إنه نوبة جنون. صحيح أن حبكة الإلياذة، بحد ذاتها، ليست ممتعة تماماً: فهذه الفكرة عن بطل معكر المزاج في خيمته، يشعر بأن الملك قد عامله بصورة جائرة، فيخوض الحرب كما لو أنها نزاع شخصي، لأنهم قتلوا صديقه، ويبيع لـلأب في النهاية، جثة الرجل الذي قتله.

ولكن، (وقد أكون قلت ذلك من قبل؛ بل أنا واثق من أنني قلته)، ربما تفتقر نوايا الشاعر إلى الأهمية. فما يهم اليوم. وإن كان هوميروس يعتقد حقاً أنه يروي هذه القصة (قصة الرجل الغاضب) . هو أنه يروي في الواقع شيئاً أكثر نبلاً: إنه يروي قصة رجل، بطل، يهاجم مدينة يعرف أنه لن يقتحمها أبداً، رجل يعرف أنه سيموت قبل أن تسقط المدينة. ولكن القصة الأشد تأثيراً هي قصة الرجال المدافعين عن مدينة يعرفون مصيرها مسبقاً، مدينة آخذة بالاحتراق. أنا أظن أن هذا هو موضوع الإلياذة الحقيقي. وقد فكر البشر على الدوام، في الواقع، بأن الطرواديين هم الأبطال الحقيقيون. ونفكر في فرجيل Virgilio، ولكننا نستطيع أن نفكر أيضاً في سنوري ستورلاسون Snorri Sturluson، الذي كتب في أولى سنوات شبابه، أن "أودين" Odin . وأعني أودين، إله السكسونيين . هو ابن بريامو Priamo وأخ هكتور. لقد بحث البشر دائماً عن التضامن والتآلف مع الطرواديين المهزومين، وليس مع الإغريق المنتصرين. ربما لأن هناك في الهزيمة كرامة يصعب عليها أن تتوافق مع النصر.

فلنتناول قصيدة ملحمية ثانية: الأوديسة. يمكننا أن نقرأ الأوديسة بطريقتين. افترض أن الرجل (أو المرأة، مثلما كان يرى صمويل بتلر Samuel Butler الذي كتبها)، لم يكن يجهل أنها تتضمن في الواقع قصتين: عودة أوليسيس إلى بيته، وعجائب البحر ومخاطره. إذا ما تناولنا الأوديسة بالمعنى الأول، فستكون لدينا فكرة العودة، فكرة أننا نعيش في الصحراء، وأن بيتنا الحقيقي هو في الماضي، أو في السماء، أو في أي مكان آخر، وأننا لسنا في بيتنا مطلقاً.

ولكن، لا شك في أنه لا بد لحياة البحارة والرجوع من أن تتحول إلى شيء مشوق. وهكذا، شيئاً فشيئاً، راحت تُضاف عجائب كثيرة. وعندما نلجأ إلى ألف ليلة وليلة، نجد أن النسخة العربية من الأوديسة، أي رحلات سندباد السبع، ليست قصة عودة، وإنما قصة مغامرات؛ وأظن أننا نقرؤها على أنها كذلك. عندما نقرأ الأوديسة، أظن أن ما نشعر به هو الافتتان بالبحر، سحر البحر. ما نشعر به هو ما يكشف لنا عنه الملاح. فمثلاً: ليست لديه حماسة للقيثارة، ولا لتوزيع الخواتم، ولا لمتعة المرأة، ولا لعظمة العالم. إنه يبحث عن أعالي التيارات المالحة وحسب. وهكذا تكون لدينا القصتان في قصة واحدة: يمكننا أن نقرأها على أنها عودة إلى البيت، وباعتبارها قصة مغامرات، ربما هي أروع قصة مغامرات كُتبت أو غُنيت.

فلننتقل الآن إلى «قصيدة» ثالثة، تبرز أعلى بكثير من الأخريين، وأعني: الأناجيل الأربعة. فالأناجيل يمكن أن تُقرأ أيضاً بطريقتين. المؤمن يقرؤها على أنها القصة الغريبة لرجل، لإله، يُكفّر عن خطايا البشرية. إله يتقبل العذاب، يتقبل الموت على «الصليب المرّ» (الـ(bittre cross)، مثلما يقول شكسبير). هناك قراءة أكثر غرابة، أجدها لدى لانغلاند Langland : فكرة أن الرب أراد أن يعرف العذاب البشري بكليته، وأنه لم يكتف بمعرفته ذهنياً، مثلما هو متاح له إلوهياً؛ أراد أن يعاني كإنسان وبمحدودية إنسان. أما من هو (مثل كثيرين منا) غير مؤمن، فيمكنه أن يقرأ القصة بطريقة أخرى. يمكننا أن نفكر برجل نزق، رجل يعتقد أنه إله، ثم يكتشف في النهاية أنه ليس سوى بشر وأن الرب. ربه. قد تخلى عنه.

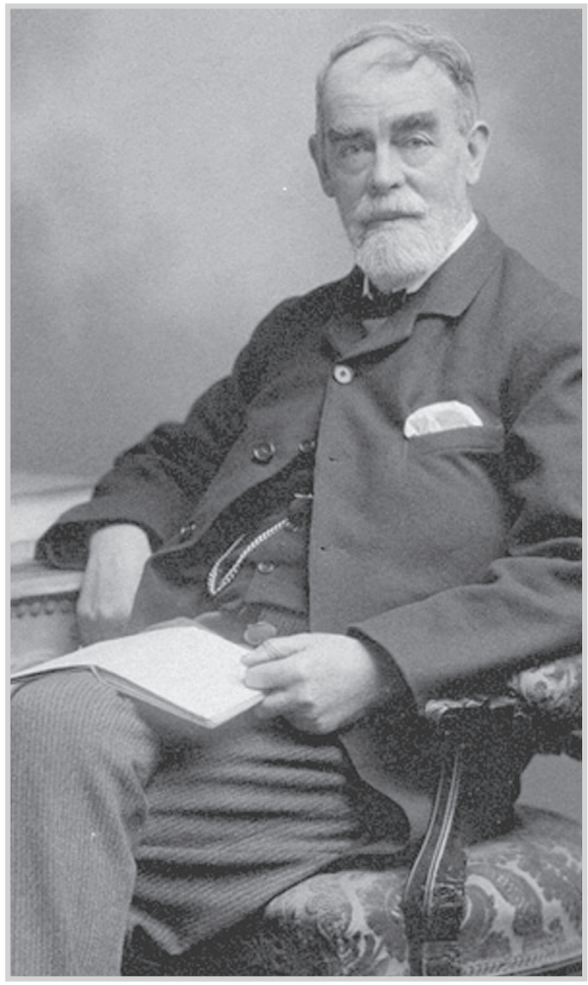

صمويل بتلر

أندرو لانغ

ثلاث قصص قصيرة جدا من امريكا اللاتينية

ترجمة المدى

١...النجاة

أدولفو بيوي كاسارس*

هذه حكاية حدثت في أزمنة وممالك غابرة. كان النحات يتجول مع الطاغية في حدائق القصر. وعلى مسافة من المتاهة المقامة لمشاهير الغرباء، في أقصى ممشى الفلاسفة الذين قطعت رؤوسهم، قدم النحات آخر عمل له: حورية ماء أصلها ينبوع. وفيما كان الفنان يفيض في الشروحات التقنية ويستمتع بنشوة النجاح، لاحظ علامة تهديد ترتسم على وجه حاميه الجميل. وفهم السبب. لا شك في أن الطاغية كان يفكر: "كيف يستطيع مخلوق بمثل هذه التفاهة أن يصنع ما أعجز أنا، راعي القرى، عن صنعه أنا ؟" وفي تلك اللحظة، طار عصفور مبتهجا في الهواء، بعد أن شرب من الينبوع، فكر النحات في الفكرة التي يمكن أن تنقذه. فقال مشيرا للعصفور: "رغم حقارة هذه العصافير لا يسعنا إلا أن نعترف بأنها تطير أفضل منا".

٢...النحات والأطفال

إدواردو غاليانو*

أتناول العشاء مع نيكول وأدوم. تتحدث نيكول عن نحات من معارفها، موهوب جدا ومشهور. يشتغل النحات في مرسم شاسع، ويحيط به أطفال. فكل أطفال الحي أصدقاء له.

في أحد الأيام كلفته المحافظة بنحت حصان كبير ليوضع في إحدى ساحات المدينة. وأحضرت شاحنة كتلة الغرانيت الضخمة إلى المرسم وشرع النحات في نحته بالمطرقة والأزميل، معتليا سلما. وكان الأطفال ينظرون إليه وهو يعمل.

ثم ذهب الأطفال في عطلة، بعضهم إلى الجبال، وبعضهم إلى البحر. وعند عودتهم، أراهم النحات الحصان الذي انتهى من نحته. فسأله أحد الأطفال بعينين مفتوحتين على أشدهما:

– لكن.. كيف عرفت أن داخل تلك الصخرة كان يوجد حصان؟

٣...الدودة

خابيير توميو*

وأنت؟ من تكون؟ – أسأل المخلوق الصغير الذي أكتشفه أمام قدمي.

فيجيبني:

– أنا الدودة. حيوان صغير، أحمق وبطيء. أتنفس عبر مسام جلدي وتمتد قناتي الهضمية من طرف جسمي إلى طرفه الآخر.

وقد قالت لي أمي بعد زمن قصير من ولادتي :

" لا تهتم يا "فريديريكو" . أنت لست ذكيا ولا جميلا ولا تمتلك أجنحة. كما أنه ليست لديك حتى سيقان. ولكن بزحفك، تستطيع أن تصل إلى أي مكان تريد" .

× أدولفو بيوي كاسارس:
ولد في بوينوس آيرس (الأرجنتين) سنة ١٩١٣ وتوفي سنة ١٩٩٩.
يعتبر من أبرز كتاب الأرجنتين إضافة إلى صديقه بورخيس (الذي كتب بالاشتراك معه عددا من القصص) وإرنستو ساباتو وخوليو كورتاثار.

× ادواردو غاليانو:
ولد في مونتيفيديو (الأوروغواي) عام ١٩٤٠.
عاش غاليانو سنوات عديدة في المنفى لأسباب سياسية، في الأرجنتين واسبانيا. وهو باحث وروائي وصحفي، وقد ترجم كتابه "شرايين أمريكا اللاتينية المفتوحة" إلى أكثر من عشرين لغة.

× خابيير توميو:
ولد في كيثينا بمقاطعة اراغون (اسبانيا) سنة ١٩٣٢.
عاش توميو سنوات عديدة في برشلونة ، ونشرت له روايات عديدة ومجموعات تشتمل على نصوص قصيرة.

احزان السنة العراقية

ربيع الأفاعي

خزعل الماجدي

اذار

1آذار

نظِّف مكانك

ستطولُ بكَ الأيامُ في الحبِّ.. نظِّف مكانك
وسيبني الحمامُ أعشاشاً له في قيودكَ.. نظِّف يديك
ستملأ ممرات سجنكَ أنسجة العناكبِ.. نظِّف طريقك
وستتدلى الوطاويط من السقف مقلوبةً.. نظِّف حلمك
وستتكلم الجدران بلغات عجيبة.. نظِّف أذنيك
وسينطفئ كل ما حولك.. نظِّف عينيك.
ستنطفئ الشمسُ
وسينطفئ القمرُ
وستنطفئ النجومُ..
لا تدع الشمعة
التي في داخلك تنطفئ.
مزهريتك يا مروان
تلك التي تطلقُ البخار بألوانٍ
لم تنطفئ
أصبحت فانوسنا الوحيد
وسط بيتنا الموحش

كلّ شيءٍ يناديك
حتى تلكَ الأشياء الصغيرةِ
التي أهملتها.

2آذار

والحبل ما زال طويلاً

أشعلت شمعةً من شعلة الموقد
ليل العراق ما زال طويلاً
×
أشعلتُ سيجارةً من سيجارة قبلها
الأحزان ستتلو بعضها
×
كلما أغلقنا النوافذ فتحتها الريح
الشرور ستدخل رغماً عنا
×
أقلامنا تفطّرت
الكتابة غبار
×
الماءُ الذي شربناه كان خابطاً
نهران ملطخان بالمتاهة
×
حدود العراقُ تُطبقُ علينا وتمسخنا
كأنه بلدٌ مسحور
×
النجومُ صامتةٌ لا تتحدث
دمها مراق في العيون
×
الليالي تحملُ الكثير من القمصان الدّماة
والحبل ما زال طويلاً.

3آذار

ربيع الأفاعي

لأن الأوراق تزداد اصفراراً
في رماد البلاد
أصبح بأمكاني متابعة الأفاعي التي تزلزلُ حياتنا
وتنفخ علينا السموم في الليل والنهار

أنظرْ هناك على الجدران
هذه الأفاعي المعلقة الجاهزة للانقضاض على المارّة
وهناك في بيوت الحكومة
حيث تلتف الأفاعي على الأموال
وهناك في الموانئ
حيث الأفاعي تشفط النفط في بطونها
وهناك في الأسواق
حيث تدبي الأفاعي فوقَ السلعِ وفي جيوب الناس
أصوات الأفاعي..
هذا ما صرنا نسمعهُ في ثنايا المدن
بدلاً من أصوات الطيور.
أبناءُ الأفاعي..
يلوّحون بالسيوف
في البيانات والجرائد
الأفاعي تملأ المساجد
وتصرخ بالفتن
الأفاعي تتجول بين القبور
وتتناسل مع الموتى
ولم يعد جمال النساء شائعاً
شوهته القشور
قشور الأفاعي.
في البساتين
تفخخ الأفاعي السيارات
وفي الأوجار
تهيئ الأفاعي الأحزمةَ الناسفة
وفي المقرات الحزبية
تجتمع الأفاعي لتزيد من فعالية سمومها
وفي الطرق تشهر الأفاعي أسنانها
وتخطف الناس
وفي الأنهار تبيض الأفاعي ونشرب بيوضها
لنتحول نحنُ بدورنا إلى أفاعٍ جاهزةٍ للقتل.
ربيعُ الأفاعي في العراق
ليسَ موسماً أو فصلاً
إنه ربيع أبديّ.

4آذار

سوده عليّ

سوده عليَّ
من يداريك؟
مروان لبّ العافية
مروان نبضَ الحبِّ.. روحُ شافية
مروان نهرٌ شاسعٌ يبكي
وخمرٌ صافيةْ.
سوده عليّ
كيف أصبحتْ؟
هل نمتَ معصوباً؟
وهل أتعبكَ الصمت؟
مروان كحل العين
طير الشمس،روح حاميةْ
سوده عليَّ
أنت بردان
والنار في اعماقنا دافيةْ
.....
الأغاني التي كنتُ أغنيها له
والأدعيةِ التي كنتُ أرفعها له
عادت إليّ
وهي تقطرُ حزناً !